جملة (ألم تر إلى الملإ من إسرائيل) استئناف ثان بعد جملة (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) سيق مساق الاستدلال لجملة (وقاتلوا في سبيل ا) وفيها زيادة تأكيد لفظاعة حال التقاعس عن القتال بعد التهيؤ في سبيل ا والتكرير في مثله يفيد مزيد تحذير وتعريض بالتوبيخ ؛ فإن المأمورين بالجهاد في قوله (وقاتلوا في سبيل ا) لا يخلون من نفر تعتريهم هواجس تثبطهم عن القتال حبا للحياة ومن نفر تعترضهم خواطر تهون عليهم الموت عند مشاهدة أكدار الحياة ومصائب المذلة فضرب ا لهذين الحالين مثلين : أحدهما ما تقدم في قوله (ألم تر إلى الذين أخرجوا من ديارهم) والثاني قوله (ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل) وقد قدم أحدهما وأخر الآخر : ليقع التحريض على القتال بينهما ومناسبة تقديم الأولى أنها تشنع حال الذين استسلموا واستضعفوا أنفسهم فخرجوا من ديارهم مع كثرتهم وهذه الحالة أنسب بأن تقدم بين يدي الأمر بالقتال والدفاع عن البيضة ؛ لأن الأمر بذلك بعدها يقع موقع القبول من السامعين لا محالة ومناسبة تأخير الثانية أنها تمثيل حال الذين عرفوا فائدة القتال في سبيل ا لقولهم (وما لنا ألا نقاتل) إلخ . فسألوه دون أن يفرض عليهم فلما عين لهم القتال نكصوا على أعقابهم وموضع العبرة هو التحذير من الوقوع في مثل حالهم بعد الشروع في القتال أو بعد كتبه عليهم فـ بلاغة هذا الكلام وبراعة هذا الأسلوب : تقديما وتأخيرا . وتقدم القول على (ألم تر) في الآية قبل هذه .

والملأ : الجماعة الذين أمرهم واحد وهو اسم جمع كالقوم والرهط وكأنه مشتق من الملء وهو تعمير الوعاء بالماء ونحوه وأنه مؤذن بالتشاور لقولهم : تمالأ القوم إذا اتفقوا على شيء والكل مأخوذ من ملء الماء ؛ فإنهم كانوا يملأون قربهم وأوعيتهم كل مساء عند الورد فإذا ملأ أحد لآخر فقد كفاه شيئا مهما ؛ لأن الماء قوام الحياة فضربوا ذلك مثلا للتعاون على الأمر النافع الذي به قوام الحياة والتمثيل بأحوال الماء في مثل هذا منه قول على " اللهم عليك بقريش فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي " تمثيلا لإضاعتهم حقه .

وقوله (من بعد موسى) إعلام بأن أصحاب هذه القصة كانوا مع نبي بعد موسى فإن زمان موسى لم يكن فيه نصب ملوك على بني إسرائيل وكأنه إشارة إلى أنهم أضاعوا الانتفاع بالزمن الذي كان فيه رسولهم بين ظهرانيهم فكانوا يقولون : اذهب أنت وربك فقاتلا وكان النصر لهم معه أرجى لهم ببركة رسولهم والمقصود : التعريض بتحذير المسلمين من الاختلاف على رسولهم .

وتنكير نبي لهم للإشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبي فلا حاجة إلى تعيينه وإنما المقصود حال القوم وهذا دأب القرآن في قصصه وهذا النبي هو صمويل وهو بالعربية شمويل

بالشين المعجمة ولذلك لم يقل : إذ قالوا لنبيهم إذ لم يكن هذا النبي معهودا عنه السامعين حتى يعرف لهم بالإضافة .

وفي قوله (لنبي لهم) تأييد لقول علماء النحو إن أصل الإضافة أن تكون على تقدير لام الجر ومعنى (ابعث لنا ملكا) عين لنا ملكا ؛ وذلك أنه لما لم يكن فيهم ملك في حالة الحاجة إلى ملك فكأن الملك غائب عنهم وكأن حالهم يستدعي حضوره فإذا عين لهم شخص ما كل فكأنه كان غائبا عنهم فبعث أي أرسل إليهم أو هو مستعار من بعث البعير أي إنهاضه للمشي .

A E